قطع التماس مع العدو !!

أولاً : المقدمة :

يقال أن المعارك يُعرف متى وكيف تبدأ ؛ ولا يعرف ـ بالعادة ـ متى وكيف ستنتهي ، فما يمكن أن يخطط له ضابط العمليات من حيث زمان ومكان وكيفية بدء المعارك ؛ يمكن أن يضبطه بناء على جدول أعماله ، ولكن تبقى الكيفية والزمن الذي تنتهي فيه هذه المعارك ، فقد يضع ضابط العمليات زماناً ومكاناً وكيفية معينة لانتهاء معاركه ؛ ولكنه يُفاجأ بعد ذلك أنه لا يستطيع أن يضبط هذه الكيفية وذاك الزمان ليوافق ما خُطط على الورق والخرائط ، بما هو واقعٌ بالفعل في ميدان المعركة ، الأمر الذي يدفع ضباط العمليات للتفكير بالشكل والآلية والزمان الذي يجب أن تتوقف فيه المعارك والاشتباكات قبل بدء معاركهم ، وهو ما يعرف "بقطع التماس" مع العدو . إن هذه الورقة تأتي في سياق تعريف هذا المصطلح ، وكيف يمكن تطبيقه في حالات عمليات المقاومة التي تقوم بها قواها في الضفة الغربية بشكل خاص ، كوننا نرى المجاهدين أو المقاومين في الداخل لديهم مشكلة في تحقيق قطع التماس مع العدو ، الأمر الذي يجعله ـ العدو ـ يتمكن منهم ولو بعد حين ، فيوقعهم في كمائنه أو يصطادهم في غاراته . إذا فهدف هذه الورقة تقديم ما يمكن أن يفيد في فهم الموقف ـ قطع التماس ـ وكيف يمكن أن يُحقق في ساحة عمليات ؛ أقل ما يقال عنها أنها من أعقد ساحات العمل ، حيث يسيطر العدو بذاته أو بأدواته على أرضها وسمائها بشكل يكاد يكون الإفلات من مراقبته وتعقبه أمراً يرقى إلى درجة المستحيل !!

ثانياً : تعريف المصطلح والمفهوم :

نبدأ بتعريف المصطلح ، فالفهم يساعد على التطبيق ، والاسقاط على الواقع . إن "قطع التماس" هو حالة قتالية يتم فيها الانفصال عن العدو والابتعاد عن ناره ونظره ووسائل ووسائط سيطرته الأرضية والجوية ، بحيث يتم المحافظة على الذات والقدرات ، فلا يصل لها العدو بأدوات فعله ـ المباشرة وغير المباشرة ـ فيُلحق بها خسائر وأضرار غير مرغوب بها ، أو غير ممكنة الاحتمال . هذا التعريف المختصر هو أقل ما يمكن أن يقال عن هذا الموقف القتالي في هذه العجالة من الوقت . وحتى تكتمل الصورة ؛ سنتحدث في العنوان التالي وبشكل مقتضب عن مكان "قطع التماس" في مراحل العمليات القتالية .

ثالثاً : مكانه في العمليات العسكرية :

إن العمليات العسكرية النظامية ، وإلى حد كبير عمليات العصابات ، تمر بمراحل خمسة ، تنتقل فيها القوات من إجراء إلى آخر ، وصولاً إلى تحقيق الأهداف المرجوة ، وإتمام المهام المُحولة لها من قبل قيادتها ، هذه المراحل هي :

١. **التقدم لأخذ التّماس** :

إن أول مرحلة من مراحل أية عملية عسكرية هي : ما يعرف بالتقدم لأخذ التماس مع العدو ، فتتقدم القوات ؛ نظامية كانت أو مجاميع عصابات ، باتجاه عدوها من منطقة انطلاقها ـ حارة ، بيت آمن ، بناية في حي ، معسكر خارج المدينة ـ حتى تصل إلى مشارف منطقة العمليات التي تريد أن تشتبك فيها مع عدوها ، فتكمن له محققة معه تماساً بالنظر العادي أو

المسلح ، بحيث تستطيع معه جمع أكثر ما يمكن من المعلومات التي تساعد في تحسين موقفها القتالي ، بهدف إنجاز المهمة في أسرع مدة زمنية وبأقل خسائربشرية ومادية.

٢. **الاستطلاع القتالي** :

المرحلة الثانية من مراحل العمل القتالي هي : مرحلة الاستطلاع القتالي ، وهي عملية قتالية لا تقوم بها بالعادة إلّا القوات النظامية ، بحيث تحتك بعدوها في عمل تعرضي الهدف منه كشف الاستعداد القتالي ـ البشري والمادي ـ للعدو ، وانتشار قواته ، وشكل رد فعله في مواجهة أي عمل هجومي يمكن أن يتعرض له هذا العدو ، وفي هذه المرحلة من القتال لا تخوض القوات المُستطلِعة بالنار ، لا تخوض قتالاً حاسماً مع عدوها ، إنما (تتحركش) فيه لتحقيق ما قلناه سابقاً من أهداف . وهنا نلفت الانتباه إلى أن قوات العصابات ومجاميع المقاومة يمكن أن تقوم بمثل هذا العمليات للتعرف على قدرات عدوها وشكل انتشاره ومناورة قتاله ، ولكن يجب على القوات العاملة في هذه المرحلة أن تعرف متى تقطع التماس مع عدوها ، والمستوى المطلوب من الإجراءات التي ستنفذها بحيث لا تجر عليها رد فعل يجبرها على خوض قتال حاسم مع عدوها في ظروف قتالية هي أضعف ما تكون فيه .

٣. **الهجوم المنظم** :

تلي عملية الاستطلاع القتالي ، عملية الهجوم المنظم على العدو المنتشر أو المتموضع أمامنا ؛ فبعد جمع المعلومات الأولية عنه ، ثم الاحتكاك به لكشف قدراته واستعداده وطبيعة إجراءاته الدفاعية ؛ يمكن مهاجمته في نقاط ضعفه ، والحاق خسائر بشرية ومادية فيه ، وتحقيق موقف قتالي متفوق عليه ، بحيث يتم تحقيق الهدف الرئيسي من المهمة القتالية المُحولة للمجموعة القتالية المشتبكة مع العدو ، بمعنى أن الهجوم المنظم هو الإجراء الرئيسي الذي يتم فيه إنجاز المهمة وتحقيق الأهداف .

٤. **المطاردة** :

بعد إنجاز المهمة ـ احتلال أو تحرير ـ عبر الهجوم المنظم الذي يلي التقدم لأخذ التماس والاستطلاع القتالي ، وبعد دفع العدو للاشتباك معنا في موقف قتالي غير مناسب له ، وبعد احتلال مواقعه أو تحرير ما نريد تحريره من أرض أو مقرات ، وبعد وقوع العدو في حالة من الاضطراب ورد الفعل غير المنظم ، بعد كل هذه المواقف القتالية ؛ يُترك للعدو فُرجة ومتنفساً ليخرج منه باتجاه عقبته الآمنة ، حيث أن حصاره قد يدفعه إلى قتال المستميت ، فلا نحقق أهدافنا ولا نصل إلى غاياتنا إلّا بخسائر بشرية ومادية عالية ، وغير محتملة . وعند خروج العدو وفراره من ساحة القتال ، تتبعه القوات المهاجمة في عملية مطاردة حذرة لتلحق به أكبر خسار ممكنة قبل وصوله إلى مكان يتحصن أو يعيد تنظيم نفسه فيه استعداداً لهجوم معاكس على القوات المهاجمة .

٥. **استثمار النصر** :

وبعد انتهاء عمليات المطاردة ، وإعادة القوات المهاجمة لتنظيم نفسها ، وتعويض ما خسرته من قدرات وإمكانيات بشرية ومادية ، يمكن أن تقوم هذه القوات بعمليات استثمار لنصرها الذي حققته ، من خلال مهاجمة بعض الأهداف الأخرى التي تساعد على تحسين موقفها القتالي الحالي ، أو تمكنها من استئناف مناورتها القتالية المستقبلية انطلاقاً من موقف قتالي أنسب لها من عدوها .

في هذه المراحل القتالية الخمس ؛ هناك إمكانية لقطع التماس مع العدو تفرضها تطورات الموقف الميدانية ؛ المهم أن يعرف المقاتل أو القائد متى ؟ وكيف ؟ يقطع تماسه مع العدو ، حيث أن معرفة التوقيت الصحيح لقطع التماس تكاد تكون أكثر أهمية من قرار القيام بالعملية أو شن الهجوم ؛ فالهجوم على العدو إنما يتم بناءً على " تقدير معلومات " يفترض أن يكون أقرب ما يكون إلى الصحة ، ولكن عندما تشتبك القوات ، وتلتحم الأدوات ، يتحول الموقف من " أمر تقدير " إلى " واقع عيان " ، عندها يجب على القائد أن يقرر ؛ أيقدم ؟ أم يحجم ؟ وهنا يأتي إجراء قطع التماس كضرورة عملياتية وتعبوية لابد من تنفيذها ، طلباً لتحسين الموقف ، أو تقليلاً لخسائر يمكن أن تقع .

رابعاً : أهمية قطع التماس :

إن أهمية قطع التماس مع العدو تبرز كإجراء تعبوي يتوخى منه القائد أو المقاتل تحقيق مجموعة من الأهداف ، من أهمها:

١. **المحافظة على الذات** :

حيث أن العمليات العسكرية إنما تخاض بناء على " **تقدير موقف عملياتي** " منبثق عن "**تقدير موقف معلوماتي** " الأمر الذي يعني أن هذه المقدمات إنما هي من التقديرات ، وليست من (الآيات) المحكمات ، وعليه فقد تكون صواباً ؛ وقد تحمل في طياتها الأخطاء والمبالغات ، لذلك عندما تُفتح النار ، ويتحقق التماس مع العدو ؛ (يذوب الثلج ويظهر المرج) ، ويتبين سمين التقدير من غثه ، فإن كان ـ التقدير ـ محكم المعلومات ، دقيق المعطيات ؛ يتحقق النصر ، وتنال النجاحات ؛ وإن كان هذا التقدير قد بني على الأماني ؛ فقد يحمل في طياته خسائر وتضحيات ، لذلك يجب على القائد أن يقطع تماسه مع العدو ، وينسحب أو ينحاز إلى فئة أخرى ، طلباً للحفاظ على الذات وعدم هدر القدرات ، إلى حين توفر فرص أفضل ، وموقف قتالي أصلب ، فيحمل على عدوه ، محققاً لأهدافه ومتماً لمهماته .

٢. **تنظيم القوات** :

ومن الأهداف التي تدفع القائد لقطع التماس مع عدوه ؛ إعادة تنظيم قواته ، وترتيب صفوفه ، تمهيداً لعمل معاكس ، يشن فيه هجوماً على عدوه ، فيوقع فيه الخسائر ، ويجبي منه الأثمان ، وتنظيم الصفوف للكرّ على العدو من أهم متطلبات نجاحه قطع التماس مع العدو ، بحيث تخرج قواتنا من مربع سيطرة العدو البصرية والنارية ، إلى رحابة اعادة التنظيم والاستعداد للكرّ بعد الفرّ .

٣. **الهجوم المعاكس** :

أن أول إجراء يقوم به القائد عند تعرض قواته للهجوم المباغت من العدو هو : امتصاص ضربته الأولى ، وتشتيت طاقتها ، ثم يعيد القائد تنظيم صفوفه لهجوم معاكس على العدو ، يستعيد فيه ما خسر من مواقع ، ويجهز فيه على قدرات العدو التي تكون في طور التموضع والاستحكام . لذلك فالهجوم المعاكس على العدو ؛ يتطلب قبله قطع تماسٍ معه ، لتنظيم الصفوف وتعويض الخسائر ، ووضع الخطط والإجراءات لمثل هذه المناورات .

خامساً : كيفية قطع التماس :

وحتى يحقق القائد أو الجندي قطع تماس مع عدوه بأقل الخسائر ، تمهيداً لإعادة الحملة والكر عليه ؛ لابد من القيام ببعض الإجراءات التعبوية ، والتي من أهمها :

١. **غزارة نار** :

صب نار ، وفتح فوهات لهب من مختلف الأعيرة والمديات على مواقع العدو ، ومنصات ناره الأرضية ، بحيث لا يقدر على رفع رأسه وتحديد طبيعة وكيفية ومكان حركة القوات أثناء قطع التماس معه . إن إجراء " هانبعل " المعادي والذي يستخدم فيه العدو ما يملك من مصادر نار ؛ إنما هو إجراء يتوخى منه العدو منع عدوه من قطع التماس معه وتحقيق التماس مع عقبته ـ عقبة المهاجم ـ ، فترى العدو يفتح ما يملك من فوهات نار على منطقة العمليات من أجل تحقيق هذا الهدف ، وعليه فإن أردنا أن نقطع التماس مع عدو ؛ لابد من تسليط ما نملك من فوهات نار عليه ، ثم الانسحاب وقطع التماس تحت غطاء ناري كثيف لا يتمكن معه العدو من معرفة سلوكنا وطبيعة حركتنا .

٢. **ضرب التنظيم القتالي للعدو** :

ومن الإجراءات التي يجب العمل عليها من أجل قطع تماس ناجح مع العدو ، محاولة ضرب التنظيم القتالي له ؛ فبقاء التنظيم القتالي للعدو على ما هو عليه كفيل بإفشال حركات قطع التماس والانسحاب من منطقة العمليات ، وكإجراء عملي لتحقيق هذا الهدف ـ ضرب التنظيم القتالي ـ فبالإضافة إلى صب النار للمنع من المتابعة والإشراف على مناورة الانسحاب ؛ يمكن أيضاً القيام بحركات ومناورات تشتت انتباه العدو ، فتنسحب القوات أو المجموعات عبر أكثر من ممر أو محور أو معبر ، كما أن شن هجوم الهائي على قوات العدو بحيث يتم اشغاله فيه ريثما تنسحب قوات الهجوم الرئيسية وتقطع التماس معه ، مثل هذا الإجراء يمكن أن يفيد في ضرب تنظيم العدو القتالي .

٣. **الانسحاب المنظم** :

ومن أهم إجراءات قطع التماس ؛ ما يتم التوافق عليه أثناء التخطيط للعمليات من حركات تراجعية أو انسحابات منظمة ، بحيث يُوضح للقوات المشاركة في العملية أو المناورة ما هي الإجراءات التي سيتم القيام بها لقطع التماس ، وأين ستنسحب القوات أثناء الحركات التراجعية ، في صورة لا يعرف معها العدو المحاور والممرات والمسارات الموصلة إلى عقبة القوات أثناء التراجع ، فتنسحب القوات انسحاباً منظماً مسيطراً عليه ، وليس عشوائياً ، يضر حيث أريد منه أن ينفع .

٤. **الخروج خارج مديات أسلحة العدو وسيطرته النارية والبصرية** :

الإجراء الأخير الذي يفضي إلى قطع التماس مع العدو ،هو الخروج خارج المديات القاتلة لأسلحته ،وصنوف قواته ، وهنا تجب الإشارة إلى أنه في ظل تطور وسائل القتال ، وطرق الرصد والتعقب والمتابعة ؛ لا يكفي أن نخرج خارج مدى أسلحة العدو وناره المدمرة ؛ بل يجب أن نخرج خارج مدى سيطرته البصرية ، وعدم البقاء على شاشات راداراته ـ البرية والجوية ـ فبقاؤنا ضمن مدى وسيطرة أجهزة الرقابة هذه يعني بقاء تماس عدونا معنا ، وتوفر إمكانية إعادة تنظيم قواته وصب ناره علينا أثناء الحركة التراجعية ، لذلك فقطع التماس مع العدو يتطلب قطع التماس مع ناره ونظره ـ المسلح وغير المسلح ـ ، وأجهزة تتبعه ورقابته الفنية الالكترونية .

سادساً : قطع التماس بعد عمليات المقاومة :

نختم هذه الورقة بما يمكن أن يساعد في عمليات "قطع تماس " مجاميع المقاومة التي تشن هجماتها وغاراتها على العدو ، فهذه القوات مختلطة بعدوها اختلاط الشحم باللحم ، إلى درجة تكاد تكون معها عملية " قطع التماس " من أهم وأخطر مراحل أي عمل عسكري ضد هذا العدو ، وهنا نتحدث بشكل خاص عن أفراد ومجموعات المقاومة في الضفة الغربية ، والتي عليها إن أرادت أن تقطع تماسها مع عدوها استعداداً لضربه مرة ثانية ، عليها القيام بمجموعة من الإجراءات والتي من أهمها :

١. **الخروج من ساحة العمليات** :

إن أول الإجراءات هو الخروج من ساحة العمليات التي تمت فيها العملية ، أو تم فيها ضرب العدو والتعرض له ، فالقدرات التي تشن بها مجاميع المقاومة هجومها على عدوها لا تمكنها من خوض اشتباكات حاسمة معه ، أو البقاء إلى حين تعبئة العدو لقدراته لشن هجوم معاكس على من هاجمه . وهنا لابد من التفكير جيداً بطرق الخروج وممرات الانسحاب ومسارات التراجع وزمن استجابة العدو ورد فعله على التعرض له .

٢. **عدم التوجه مباشرة إلى العقبة الخلفية (المكان الآمن) :**

ومن الأمور المهمة أثناء " قطع التماس مع العدو " عدم التوجه بشكل مباشر إلى المكان الآمن الذي ستأوي له المجموعة المهاجمة ، لذلك لا بد من التفكير في إيجاد محطات آمنة يستقر فيها المقاومون بشكل مؤقت إلى حين وصولهم إلى المكان الآمن المعد والمجهز لاستقبالهم لمدد طويلة . وهذه الأماكن المؤقتة يجب أن تجهز إدارياً بما يعين على استمرار الحياة ، وقتالياً بما يساعد على التصدي لأي هجوم معادٍ غير متوقع .

٣. **تهيئة الظروف الإدارية :**

إن أكثر ما يمنع من "قطع التماس " مع العدو بعد الاشتباك معه والتعرض له ؛ تواجد المقاومين في أماكن آمنة غيرمجهزة إدارياً ، مما يضطرهم إلى التحرك بذاتهم أو عبر وسطاء لتأمين متطلبات الحياة اليومية ، الأمر الذي يلفت انتباه المحيط الذي يستقرون فيه أو البيئة التي لجأوا لها ، لذلك ، فإن تجهيز الأماكن الآمنة بما يديم الحياة ويسهل ـ بشكل معقول ـ من المكوث والسكون ،و تقليل الحركة بأقل درجاتها ، مثل هذه التجهيزات من الأمور التي تساعد وبشكل كبير على "قطع التماس" مع العدو وعملائه ومصادر معلوماته التي تنشط في البحث عما يدل على مكان التواجد والاختفاء .

٤. **الابتعاد عن المتابعة الإعلامية :**

من الأمور التي ينشط العدو في متابعتها بعد كل عملية ؛ رصد وسائل الاعلام ، ومنصات التواصل الاجتماعي ، والبحث عن أكبر نشاط الكتروني بحثي يتتبع أثر ما تم من عمليات أو شُن من هجومات ، مكوناً بذلك (رأس جسر) معلوماتي ، وبداية خيط يوصله إلى جغرافيا معينة ينشط فيها البحث والتقصي والتحري عن الخسائر وردات فعل العدو على الفعل ، فيركز على هذه الجغرافيا ـ بذاته أو بأدواته ـ مما قد يوصله إلى المكان الذي استقر فيه المقاومون ، أو لجأ له المجاهدون ، حتى ولو بعد حين .

٥. الاختفاء وليس التخفي :

إن بعض المقاومين قبل عملهم أو بعده يلجأون إلى التخفي عن عيون محيطهم والبيئة التي أووا لها ، وهذا الإجراء ـ التخفي ـ يفيد بالقدر الذي يجعل المحيط المدني العادي غير منتبه لهم ، فلا يميزهم ولا يتعرف عليهم ، وما في هذا ـ التخفي ـ من بأس ، لكن الأهم من هذا الإجراء هو الاختفاء عن شاشات رادارات العدو البشرية (العملاء) والتقنية ، فليس مهماً أن لا يعرفك المحيط المدني الذي تتحرك فيه ـ وإن كان مهماً ـ ، وإنما الأهم أن تختفي عن المتابعة الخاصة والملاحقة الأمنية من عدوك الذي يعرف عنك أكثر مما يعرف محيطك عنك ، فكم من الشهداء الذين لم يُفطن لهم إلّا بعد شهادتهم ! فلم يرهم أهل الحي والجيران إلا أناساً مسالمين ، وطلاباً وأكاديميين ؛ وإذ بهم مقاومين مجاهدين ومطاردين !! إن أهم ما يساعد على "قطع التماس " مع العدو ؛ اتباع استراتيجية الاختفاء ، وليس تكتيك التخفي .

٦. **عدم المكوث في جغرافية محددة** :

ومن الأمور المهمة في "قطع التماس " مع العدو ؛ عدم المكوث الطويل والزائد عن الحد في جغرافيا معينة ، حتى لو كانت بيئة حاضنة للمقاومة ، فعملاء العدو وعيونه سيقلبون كل حجر ، و(ينبشون) كل مكان بحثاً عن المقاومين ، وعليه لا يستقيم البقاء الطويل في مكان واحد ، وإنما يجب الانتقال والتنقل وعدم ترك أثر أو دالة تدل على التواجد ، الأمر الذي يتطلب أن يواكب عمل المقاومين جهاز إداري نشط وفاعل ومدرب ومُجرب ، قادر على سل الشعرة من العجين دون أن يثير المحيط أو يجلب الانتباه ، فينقل من يتطلب النقل ، ويؤمن حاجات من يحتاج ، يوصل الرسائل وينقل التوجيهات .

٧. **إدامة التماس مع المحيط** :

نختم بأن " قطع التماس " مع العدو يتطلب في المقابل إدامة التماس مع المحيط ، حتى لا يُفاجأ المقاومون ،ويؤخذوا على حين غرة ، وإدامة التماس مع المحيط بحاجة أيضاً إلى فريق مدرب ومجرب على مثل هذه الأمور بحيث لا تؤتى المقاومة من قبله ، فهم العين الساهرة والعصب الناقل للتغيرات ، وجهاز الإنذار المبكر عما يتكون ويتطور من مخاطر وتهديدات .

هذه بعض الافكار والنصائح الكلية التي نعتقد أن في بعضها فائدة ، وأنها تساعد في "قطع تماس" المقاومين مع عدوهم ، استعداداً للكرّ عليه مرة ثانية ، فيصيبون منه مقتلاً ، قبل أن يوقعهم هو في كمين . والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

عبد الله أمين

١٥ ٠٥ ٢٠٢٣